مصطفى مَلَح

آخر النّاجين من الطّوفان

شعر

الكتاب: آخر الناجين من الطوفان

المؤلف: مصطفى مَلَح

الجنس الأدبي: شعر

الناشر: مؤسسة مقاربات

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع القانوني:

ردمك:

إضاءة

قَدْ يَحْدُثُ طوفانٌ آخَرُ،

ساعَتَئِذٍ لَنْ أَنْتَظِرَ نَبِيّاً ولا قُرْصاناً،

وإنمَّا أَصْنَعُ سَفينَتي مِنْ أَشْجارِ الغابَةِ،

وعِنْدَما يَغْرَقُ المَوْتى جَميعاً،

أَكونُ آخِرَ النّاجينَ من الطّوفانِ!

إهداء

عندما حلّ طوفانُ الميثولوجيا،

لم يتمكّنِ الكثيرونَ من ركوبِ السفينة..

إلى هؤلاءِ جميعاً،

أقدّمُ سفينتي الشعريّة..

الفصل الأول: السفينة

سأصل يوما إلى اليابسة

سَأَصِلُ إِلى اليابِسَةِ يَوْماً.
رُبمَّا أَتَأَخَّرُ عاماً أَوْ مَلْيونَ عامٍ
لَكِنَّني سَأَصِلُ إلى البَرِّ لأَشُمَّ هَواءَ الصَّحْراءِ،
وأَجْعَلَ مِنْ جُلودِ الثَّعابينِ حِزاماً،
وأَصِلَ الرَّحِمَ مع الجِبالِ والوِدْيانِ والرَّبَواتِ،
لَنْ أَبْقى في الماءِ مِثْلَ بَحّارٍ يائِسٍ،
لا بُدَّ مِنْ تُرابٍ أَلْمَسُهُ،
ونَمِرَةٍ أُطارِدُها.. وغُروبٍ أَتَأَمَّلُهُ..

المَعْرَكَةُ بَيْني وبَيْنَ الأَمْواجِ والقَراصِنَةِ والزَّمَنِ.
قَدْ أَصِلُ مُتَأَخِّراً، لَكِنَّني أَصِلُ أَخيراً.

أَنْ نمَوتَ واقِفينَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ نَحْيا راكِعينَ.
أَنْ نَفْتَحَ العَيْنَيْنِ لِرُؤْيَةِ العاصِفَةِ مَرَّةً واحِدَةً،
أَفْضَلُ مِنْ أَنْ نمَوتَ عُمْياناً.
ماذا سَيَقولُ عَنّا أَحْفادُنا لِزُمَلائِهِمْ:
ماتوا عُمْياناً!
رُؤْيَةُ المَوْتِ - مُباشَرَةً - إِضْعافٌ لَهُ،
وإِغْماضُ العَيْنِ يُضاعِفُ حَجْمَهُ.
المَوْتُ يَتَكاثَرُ في الظَّلامِ،
والنّورُ يَقْتُلُهُ.

أَيُّها الميِّتونَ في الظَّلامِ، أَنْتُمْ مَيِّتونَ حَقّاً.
أَيُّها الميِّتونَ في النّورِ،
أَنْتُمْ أَحْياءُ حَقّاً!

السفينة حملت زوجين

الوُجودُ المُطْلَقُ لَيْسَ مِنْ صِفاتي.
نِصْفُ وُجودٍ يَكْفي لِكَيْ لا أَنْعَدِمَ كُلِّيّاً.

السَّفينَةُ حَمَلَتْ زَوْجَيْنِ، مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى،
ومَضَتْ تَشُقُّ العُبابَ شَقّاً.
لَمْ يَسْتَسْلِمْ نوحٌ.
كانَ الماءُ بارِداً. صارَ الماءُ بارِداً.
الجَبَلُ لا يَعْصِمُ العالَمينَ من الغَرَقِ،
والأَرْخَبيلاتُ تَصيرُ زَبَداً مُتَراكِماً في الأُفُقِ.
ولا تَميمَةَ تَضَعُها امْرَأَةٌ في عُنُقِها،
طَلَباً للنَجاةِ من أَنْيابِ الطّوفانِ وهِيَ تُغْرَسُ في الرّوحِ.
ولا تِرْياقَ في قارورَةٍ بِخِزانَةِ المَلابِسِ،

لا تِرْياقَ مُضادٌّ للسُّمِّ الذي يَسْري في الشِّرْيانِ.
كُنْتُ أَعْرِفُ مُنْذُ نوحٍ أَنَّني لَسْتُ مَغْضوباً عَلَيَّ،
ولَسْتُ، كَذَلِكَ، مَرْضِيّاً عَلَيَّ.
أَنا حالَةٌ ثالِثَةٌ، لِذَلِكَ لَمْ أَرْكَبِ السَّفينَةَ،
لأَنَّني كَنْتُ مُنْعَدِماً.
ما زِلْتُ مُنْعَدِماً!

أَكْتُبُ الماءَ والخَشَبَ والطّوفانَ وسيرَةَ الجَبَلِ.
أُحاوِلُ أَنْ أَكونَ مَوْجوداً قَدْرَ الإِمْكانِ،
أَمّا الوُجودُ التّامُّ فَلَنْ يَسْمَحَ الطّوفانُ بِهِ.
الوُجودُ المُطْلَقُ لَيْسَ مِنْ صِفاتي.
نِصْفُ وُجودٍ يَكْفي لِكَيْ لا أَنْعَدِمَ كُلِّيّاً.

في السَّفينَةِ رُصَّتِ الأَشْياءُ جَنْباً إِلى جَنْبٍ،

أُمّي ومَساميرُ اللَّوْحَةِ وأَبي وساعَةُ الحائِطِ،
وزَوْجانِ مِنَ الحَيَواناتِ والطُّيورِ.
اللَّوْحَةُ تَحْمِلُ وَجْهي،
وساعَةُ الحائِطِ مُعَلَّقَةٌ في روحي.
لِروحي حِبالٌ ثلاثَةٌ؛ واحِدٌ لِرَبْطِ السَّفينَةِ،
وثانٍ لِتَعْليقِ السّاعَةِ، وثالِثٌ لِرَبْطِ بَدَني.
أُمّي تَعْرِفُ نوحاً لِذَلِكَ رَجَتْهُ بِأَلاَّ يُؤْذِيَ ابْنَها.
أَنا أَعْرِفُ نوحاً لِذَلِكَ رَجَوْتُهُ بِأَلاّ يُؤْذِيَ أُمّي.
نوحٌ قالَ: لَنْ أُوذِيَ أَحَداً،
لَسْتُ الطّوفانَ.. أَنا رِسالَةُ اللهِ!

في اليابسة تلك

في اليابِسَةِ تِلْكَ..
قُرْبَ كَنْعانَ، أَوْ جارِهِ، أَوْ صِهْرِهِ، جَفَّتِ الأَرْضُ.
لا أَعْرِفُ أَنَّ قَصيدَةً واحِدَةً سَتُحَرِّضُ عَلَيَّ القَبائِلَ.
الأَرْضُ جافَّةٌ والرُّعاةُ يَرْمونَني بِالنِّبالِ.
صَدْري يَتَصَدّى للنِّبالِ والنُّباحِ والحِجارَةِ.
لَنْ أَموتَ بِالمَجّانِ. سَأَكْتُبُ قَصيدَةً أُخْرى.
نِكايَةً بالفَراهيديِّ أَوْ سوزانْ بِرْنارْ.
سأَكْتُبُها، سَأَكْتُبُها لا مَحالَةَ.
سَأَكْتُبُ الطّوفانَ!

القَبائِلُ تَعْرِفُ أَنَّني لَسْتُ قُرْصاناً.
أَصابِعي، وهِيَ تكْتُبُ، لَيْسَتْ أَرْجُلَ أُخْطُبوطٍ.

عَيْنايَ الباكِيَتانِ لَيْسَتا حُفْرَتَيْنِ في جَبَلٍ لإيواءِ اللُّصوصِ.
قَلْبي لَيْسَ بَوْصَلَةً كاذِبَةً في باخِرَةٍ مَشْكوكٍ فيها.
خَيالي لَيْسَ مُحيطاً تُغْتالُ فيهِ الأَمْواجُ.
فَلِماذا يَعْتَقِلونَ اليابِسَةَ والماءَ مَعاً،
ويَتْرُكونَني رَهينَةً في اللاّمَكانِ؟!

أَنْ نمَوتَ وُقوفاً يَعْني أَنَّ اللهَ شاءَ أَنْ نكونَ شَجَراً.
أَنْ نمَوتَ راكِعينَ يَعْني أَنَّنا شِئْنا أَنْ نكونَ ضَفادِعَ،
في مُسْتَنْقَعٍ قُرْبَ بِئْرٍ قَديمَةٍ.
القَلَقُ الحَقيقِيُّ،
القَلَقُ الكَثيرُ الذي لا يُعَدُّ ولا يُحْصى،
القَلَقُ المُتَدَفِّقُ كَشَلاّلٍ،
المَصْهورُ كَزُبْدَةٍ،
العاري كَقَمَرٍ،

هُوَ الخَوْفُ مِنِ انْعِدامِ المَسافَةِ،
بَيْنَ الشَّجَرَةِ والضِّفْدَعَةِ!

الشَّجَرَةُ تَتَنَفَّسُ في الهَواءِ.
الضِّفْدَعَةُ تَتَنَفَّسُ تَحْتَ الماءِ.
أَنا لا أَتَنَفَّسُ أَبَداً.
في الهاوِيَةِ طَحالِبُ، وفي الأَعْلى مَلائِكَةٌ..
الهُدْهُدُ لَمْ يَكُنْ صَديقاً لِبِلْقيسَ،
وسُلَيْمانُ على العَرْشِ يَنْتَظِرُ الرِّسالَةَ،
وفي بِرْكَةِ الماءِ كَشَفَتِ الشَّمْسُ عَنْ ساقَيْها،
وأَدْرَكَتْ أَنَّ سُلَيْمانَ أَكْبَرُ مِنْ مَلِكٍ،
سُلَيْمانُ رِسالَةُ اللهِ،
سُلَيْمانُ سَماءٌ بَشَرِيَّةٌ تَتَنَزَّلُ بِأَرْضِ فِلِسْطينَ.
وأَدْرَكَتْ أَنَّ الهُدْهُدَ لَيْسَ عَدُوّاً،

وأَنَّ سَبَأً سَتَغْدو بَعيدَةً،

وأَنَّ طُرُقَ اليَمَنِ مُحاصَرَةٌ بِعُيونِ الحَكّائينَ،

وأَنَّ السَّماءَ هِيَ الأَقْرَبُ دائِماً!

السفينة

لَمّا نَزَلَتْ أَمْطارُ اللهِ،
رَكِبْتُ سَفينَةَ نوحٍ ثُمَّ دَخَلْتُ اليَمَّ،
وخَلْفي مَوْتى يَنْتَظِرونَ الشَّمْسَ،
وكانَتْ أَنْيابُ الطّوفانِ تَعُضُّ اليابِسَةَ المَجْروحَةَ،
حَتّى شاءَ القادِرُ فابْتَلَعَتِ الأَرْضُ الأَمْواجَ،
وصارَ بِمَقْدوري وَطْءُ الأَرْضِ المَهْجورَةِ.

لَمْ تَكُنِ الأَحْراشُ كمَا تُرِكَتْ مِنْ قَبْلُ..
وحينَ رَأَتْني المَخْلوقاتُ بِمَقْرُبَةٍ مِنْها حَسِبَتْني آدَمَ،
فَوْقَ الصَّخْرَةِ كُنْتُ وَحيداً مُرْتَبِكاً،
والمَخْلوقاتُ مُحيطاتٌ بي مِثْلَ حَوارِيّينَ.
وأَعْلَمُ أَنّي لَسْتُ نَبِيّاً..

كَيْفَ سَأُقْنِعُ مَنْ حَوْلي أَنَّ الأَحْياءَ قَدِ انْقَرَضوا،
وأَنا ما كُنْتُ سِوى أَحَدِ المَوْتى بِسَفينَةِ نوحْ؟!

أَتَذَكَّرُ طائِرَةَ الوَرَقِ البُنِّيَّةَ وهْيَ مُسافِرَةٌ في قَلْبي،
أَذْكُرُ بالوناتِ العيدِ وأَعْوادَ البِرْسيمِ وحِضْنَ الجَدَّةِ.

أَذْكُرُ أَحْزانَ العُصْفورَةِ في قِصَصِ الحَيَوانِ،
وأَذْكُرُ أَيّامَ الآحادِ وأَفْراحَ العُطَلِ الشَّتْوِيَّةِ،
لَكِنْ كَيْفَ هَرِمْتُ وغَطّاني الصَّدَأُ؟

في اللَّيْلِ..
وَراءَ الواقِعِ..
أَحْلُمُ بالعُصْفورَةِ والبالونِ،

وطائرَةِ الوَرَقِ البُنِّيَّة،
ثُمَّ أُقَرِّرُ أَلاّ أَصْحُوَ مِنْ نَوْمي أَبَداً!

ما كُنْتُ نَبِيّاً، بَلْ طِفْلاً.
وأَكونُ، إِذا وَلَدَتْني أُمّي ثانِيَةً، طِفْلاً.
لَكِنّي مِتُّ،
وأَنا ما كُنْتُ سِوى أَحَدِ المَوْتى بِسَفينَةِ نوحْ؟!

ورَأَيْتُ الرّاعِيَ في طُرُقٍ لَمْ يَسْلُكْها أَحَدٌ غَيْري.
هَلْ كانَ مَعي في السَّفينَةِ قَبْلَ الطّوفانِ؟

راعي البَقَرِ السِّكّيرُ،
وقُبَّعَةُ الجِلْدِ البُنِّيَّةُ فَوْقَ الصَّلْعَة،
قُطّاعُ الطُّرُقِ الغُرَباءُ أَتَوْا مِنْ مُرْتَفَعٍ تَلِّيٍّ..

عَبَّأَ آلَتَهُ الرّاعي،
لَكِنَّ الطَّلْقَةَ كانَتْ أَسْرَعَ في الجِهَةِ الأُخْرى.
ومَضى الغُرَباءُ إلى الأَدْغالِ،
وقَبْلَ نُزولِ اللَّيْلِ البارِدِ،
كانَتْ قُبَّعَةُ الجِلْدِ البُنِّيَّةُ تَكْسوها الأَعْشابُ،
وكانَ دَمُ الرّاعي السِّكّيرِ بِمَقْرُبَةٍ مِنْها،
وقُبَيْلَ نُزولِ اللّيْلِ،
أَطَلَّ زَئيرٌ مِنْ جِهَةِ الأَشْجارْ..

لا شَكَّ بِأَنَّ الرّاعِيَ لَمْ يَكُ مَوْجوداً قَبْلَ الطّوفانِ،
وكُلُّ مُحاوَلَةٍ لإِضافَتِهِ لِلْميثولوجْيا،
لَيْسَتْ إِلاّ مَحْضَ كَذِبْ..

ما كُنْتُ نَبِيّاً، بَلْ طِفْلاً.

وأَكونُ، إِذا وَلَدَتْني أُمّي ثانِيَةً، طِفْلاً.

لَكِنّي مِتُّ،

وأَنا ما كُنْتُ سِوى أَحَدِ المَوْتى بِسَفينَةِ نوحْ؟!

لم أكن أحدا

لَمْ أَكُنْ مِنْ مُسْتَشاري بِلْقيسَ،
لَمْ أَكُنْ كاهِناً في مَعابِدِ أُورْشَليمَ.
لَمْ أَكُنْ دَجّالاً في السّوقِ،
أَبْحَثُ عَنِ الظِّلِّ تَحْتَ ثِيابِ النِّساءِ.
رَحّالَةٌ أَنا مِثْلَ لَقْلاقٍ حَزينٍ،
البَحْرُ بارِدٌ والأَسْماكُ غَبِيَّةٌ والياسَمَةُ أَشُمُّ تُرابَها،
لا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لأُهاجِرَ،
الأَرْضُ قَدْ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ ما،
لا شَيْءَ في الكَوْنِ وُجِدَ عَبَثاً،
الأَشْياءُ، في إِشْراقَتِها، ضِدَّ المُصادَفاتِ،
ثَمَّةَ أَسْبابٌ وعِلاّتٌ،
ثَمَّةَ سَبَبٌ لِخُروجي مِنَ الشَّرْنَقَةِ،

كُنْتُ أَزْحَفُ صِرْتُ أَطيرُ،
هَلْ خَرَجْتُ فِعْلاً مِنَ الشَّرْنَقَةِ؟
مَتى حَدَثَ التَّحْويلُ الكُلِّيُّ؟
مَتى صِرْتُ فَراشَةً؟

سَأَصِلُ إِلى اليابِسَةِ يَوْماً.
قَدْ أَصِلُ مُتَأَخِّراً لَكِنَّني أَصِلُ أَخيراً.
المَعْرَكَةُ بَيْني وبَيْنَ الأَمْواجِ والقَراصِنَةِ والزَّمَنِ..

أَعْرِفُ أَنَّني غَيْرُ مُتَعَلِّمٍ بِما فيهِ الكِفايَةُ،
لَكِنَّني أَتَدَرَّبُ يَوْمِيّاً لأَصْنَعَ سُلَّماً حَقيقِيّاً واحِداً.
الصُّعودُ شَهامَةٌ والنُّزولُ مَكْرٌ.
الصَّقْرُ يَصْعَدُ إِلى العُشِّ والفَأْرُ يَنْزِلُ إِلى الجُحْرِ.
عائِلَتي تَمْلِكُ سَلاليمَ كَثيرَةً.

جيراني يمْلِكونَ سَلاليمَ كَثيرةً.

زُمَلائي في العَمَلِ،

وباعَةُ الكُتُبِ المَدْرَسِيَّةِ،

وجُباةُ الضَّرائِبِ،

والجُنودُ في الثَّكَناتِ،

ولاعِبو النَّرْدِ والأَرانِبُ في حَلَباتِ السِّباقِ،

وتَسَكُّعُ ديكِ الجِنِّ في الماكْدونالَدْ،

وبائِعاتُ الهَوى في الأَوْكارِ..

جَميعُهُمْ يمْلِكونَ سَلاليمَ،

لَكِنَّها للنُّزولِ ولَيْسَتْ للصُّعودِ.

ولأَنَّني أَكْرَهُ الهاوِيَةَ كَثيراً،

سَأَصْنَعُ سُلَّماً حَقيقِيّاً لأَصْعَدَ نَحْوَ الشَّمْسِ!

تدريب الجسد على الحب

سُلَّمٌ واحِدٌ يَكْفي الرّوحَ لِتَصِلَ،
لا بُدَّ من مُراوَغَةِ الجاذِبِيَّةِ قَدْرَ المُسْتَطاعِ،
وإِلْقاءِ التَّحِيَّةِ على حُرّاسِ السَّماءِ،
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ،
طَرْقُ المَلَكوتِ بِحاسَّةٍ سابِعَةٍ،
حَتّى إِذا فُتِحَ الأُفُقُ النّورانِيُّ،
تَقَدَّمَتِ الرّوحُ العَطْشى إِلى الأَمامِ،
لِتَسْتَحِمَّ في دُموعِ الأَزْهارِ العُلْوِيَّةِ،
وفي الفَراغِ المَلَكِيِّ المُمْتَلِئِ بالأَبَدِ.

لا بُدَّ مِنْ خَيْطٍ وإِبْرَةٍ،
حَتّى إِذا تَمَزَّقَتِ الأَفْكارُ خيطَتْ،

وإذا كُسِرَتْ أَواني الطّينِ رُمِّمَتْ،

وإذا جُرِحَتْ أَصابِعُ الحَياةِ،

أُدْخِلَ الخَيْطُ في فَمِ الإبْرَةِ البارِعَةِ،

وخَرَجَتِ الحَياةُ إلى الشّارِعِ،

وقَدِ انْدَمَلَتْ جِراحُها تمَاماً!

إِنْ كانَ قَدَرُنا أَنْ نمَوتَ يَوْماً،

فَلِماذا لا نُنْجِزُ التَّمْرينَ الصَّعْبَ:

تَدْريبُ الجَسَدِ على الحُبِّ؟!

الكراهية مهنة بسيطة

الكَراهِيَةُ مِهْنَةٌ بَسيطَةٌ،
لِذَلِكَ يُزاوِلُها الجَميعُ بِتَفانٍ.

يَلْزَمُكَ أَنْ تُقيمَ خارِجَ القَطيعِ لِتُحِبَّ.
الكَراهِيَةُ إِصابَةُ السُّنونو بِسَهْمٍ،
والمَحَبَّةُ مُعالَجَتُهُ بِمَرْهَمٍ.
مَنْ يَغْتالُ الفَجْرَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَتَواطَأَ مع الظَّلامِ.
لا بُدَّ مِنْ حَرْبٍ ضِدَّ القَبائِلِ الخارِجَةِ عَنِ الطّاعَةِ.
لا بُدَّ مِنْ جَرّافَةٍ فَتَمَّةَ أَكْواخٌ يَسْكُنُها البَعوضُ.
رايَةٌ واحِدَةٌ سُنونو واحِدٌ رَبٌّ واحِدٌ.
التَّعَدُّدُ في الصِّفاتِ ولَيْسَ في الأُلوهِيَّةِ.
التَّعَدُّدُ في الطَّيَرانِ،

بَيْنَما الوَحْدَةُ في السُّنونُوّاتِ،

ولا بُدَّ مِنْ حَرْبٍ ضَروسٍ لا تُبْقي ولا تَذَرُ،

لِنَنْتَصِرَ على الذينَ يُطْلِقونَ النّارَ،

على الأَعْشابِ والفَجْرِ والمَجازِ!

التائه ما قبل الأخير

لا يُمْكِنُ أَنْ أَكونَ فَوْضَوِيّاً أَوْ عُدْوانِيّاً،
لا يُمْكِنَ أَنْ أَكونَ كَلْباً بَرِّيّاً في حِزْبٍ سِيّاسِيٍّ،
ولا يُمْكِنُ أَنْ أَكونَ سَيّافاً في قَصْرِ الخَليفَةِ،
كُلُّ ما في الأَمْرِ،
أَنَّني مُنْذُ وَطَأْتُ اليابِسَةَ لا أَعْرِفُ مُهِمَّتي بِالضَّبْطِ.
في السَّفينَةِ كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّني أُشْبِهُ نَبِيّاً.
الآنَ باتَ كُلُّ شَيْءٍ مُلْتَبِساً.
لَمْ أَجِدْ أُمّي.
لَمْ أَجِدْ ساعَةَ الحائِطِ.
لَمْ أَجِدِ اللَّوْحَةَ.
لَمْ أَجِدْ أَبي.
لَمْ أَجِدْ خَيالاً لِرَسْمِ خَريطَةٍ ما،

ولَمْ أَجِدْ خَريطَةً لِلْوُصولِ إِلى الخَيالِ..

هَلْ فِعْلاً أَنَّ روحي، ذاتَ الحِبالِ الثَّلاثَةِ،

قَدْ تاهَتْ في البَرِّيَّةِ،

ولَمْ تَعْثُرْ على حَفّارِ قُبورٍ يُغَطّي عُرْيَها،

ولَمْ تَعْثُرْ على جَسَدٍ شَبيهٍ تَسْكُنُهُ؟

أبني سفينة أخرى

صَعْبٌ أَنْ تَعيشَ مع روحٍ لَيْسَتْ روحَكَ،
وجَسَدٍ لَيْسَ جَسَدَكَ،
وطائِرٍ لَيْسَ طائِرَكَ،
وسَريرٍ لَيْسَ سَريرَكَ،
وامْرَأَةٍ لَيْسَتِ امْرَأَتَكَ،
وسَفينَةٍ لَمْ تَكُنْ لِنوحٍ..
وإِنَّما لِقَراصِنَةِ المُحيطِ!

آدَمُ ماتَ، وأَنا ابْنُهُ، وأَنْتَ شَريكي في الوَرْشَةِ.
قَريباً يَنْسَكِبُ الماءُ، ويَفيضُ النَّهْرُ.
أَنا وأَنْتَ شَريكانِ، فَلْنَقُمْ بِالواجِبِ الأَخيرِ.
اُقْتُلْني، وأَقْتُلُكَ!

قَتَلْتُهُ وحَمَلْتُ هَيْكَلَهُ العَظْمِيَّ وصَنَعْتُ السَّفينَةَ،
حَدَثَ هذا في الوَقْتِ الذي قَتَلَني هُوَ الآخَرُ،
وحَمَلَ هَيْكَلِيَ العَظْمِيَّ وصَنَعَ السَّفينَةَ.
نَحْنُ، أَنا وأَنْتَ، لَمْ نمُتْ.
كُلُّ ما في الأَمْرِ أَنَّنا صِرْنا سَفينَتَيْنِ،
والنّاسُ يَرْكَبونَ والطّوفانُ يَغْمُرُ الأَرْضَ.

هذا ما يَحْدُثُ دائماً:
أَنْ نكونَ في المكانِ غَيْرِ المُناسِبِ.
أَنْ نَتَسَلَّقَ الكَرْمَةَ التي لا تينَ فيها.
أَنْ نَصْحُوَ فَنَجِدُ القِيامَةَ قَدْ أَزِفَتْ.
أَنْ نُرَبيِّ فِراخَ حَمامٍ،
وحينَ تَكْبُرُ تَصيرُ قَنافِذَ بِلا أَجْنِحَةٍ،

أَنْ نَشْرَبَ المُحيطَ فَنَزْدادُ عَطَشاً،
أَنْ نُحِبَّ التي لا قَلْبَ لَها.
أَنْ نَحْفِرَ البِئْرَ، عَميقاً، في الصَّخْرِ المُبَلَّلِ بِالعَطَشِ.
أَنْ نَسوقَ الشِّياهَ إِلى طُرُقِ الذِّئابِ.
مع ذَلِكَ لَنْ أُغادِرَ الآنَ،
سَأَنْتَظِرُ طوفاناً آخَرَ لأَعْرِفَ مَنْ أَنا!

لَمْ تَكُنْ سَفينَتي مِنَ النَّوْعِ الذي يوجَدُ في الميثولوجْيا،
كانَتْ أَقْرَبَ إلى احْتِمالٍ مُهَدَّدٍ بِإِمْكانِيَةِ عَدَمِ وُقوعِهِ.
كُنْتُ الرَّبّانَ والرّاكِبَ والغارِقَ،
حَتّى إِذا ظَهَرَ جَسَدُ اليابِسَةِ العاري مِثْلَ فُقْمَةٍ،
عَلِمْتُ بِأَنَّ الغَرَقَ والنَّجاةَ،
كانا فَرَضِيَّتَيْنِ،
فَصارا الآنَ قابَ قَوْسَيْنِ مِنْ تَحَقُّقٍ يُلْمَسُ بِاليَدِ،

ودونَ دَعْمٍ مِنْ يَقينٍ أوْ شَكٍّ أوْ فِكْرَةٍ سيقَتْ على مَضَضٍ.

عِنْدَما بَلَغَ الماءُ عُنُقي،
شَمَمْتُ رائِحَةَ الغَرَقِ الشَّهِيَّةَ مِثْلَ حَبَّةِ فَراوْلَةٍ.
وحينَ غَمَرَني الماءُ أَغْلَقْتُ عَيْني،
فرَأَيْتُ الأَسْماكَ في القاعِ،
والمَوْتى، والشُّعَراءَ، وعابِري السَّبيلِ،
فقَرّرْتُ أَنْ أَطْفُوَ فَوْقَ الماءِ حالاً،
لَيْسَ هذا هُوَ الغَرَقُ الذي كُنْتُ أَحْلُمُ بِهِ،
سَأَنْتَظِرُ طوفاناً آخَرَ لأَعْرِفَ مَنْ أَنا!

الفصل الثاني: المغارة

في مدين.. أو برشيد

لَسْتُ عَدَماً في مَدْيَنَ،
لَسْتُ قَبْراً مَنْسِياً بِآشورَ،
أَنا قِطْعَةُ وُجودٍ بِمَغارَةٍ في الأَدْغالِ!

أَنا، مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ، لَقيطٌ.
ثَمَرَةٌ لِعلاقَةٍ مُضاجَعَةٍ عابِرَةٍ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ
حينَما يُولَجُ بَعْضُهُما في بَعْضٍ أُولَدُ،
لا أَنا نورٌ ولا أَنا دَيْجورٌ،
تِمْثالٌ يَسّاقَطُ فَوْقَ أَرْصِفَةِ بَرْشيدَ،
أَتَهَشَّمُ كُلِّيّاً،
يَنْفُذُ النَّمْلُ إلى داخِلي خَوْفاً مِنْ أَقْدامِ المارَّةِ.
التِّمْثالُ، الذي أَنا، ما يَزالُ يَتَنَفَّسُ.

أُمَزِّقَ الشَّرْنَقَةَ وأَشُمُّ الحَياةَ،
لَنْ أَموتَ بِسُهولَةٍ كَما يَظُنُّ العَرّافونَ،
سَأَعيشُ كَثيراً حَتّى يَتَمَكَّنَ النَّمْلُ مِنَ النُّمُوِّ،
بَعيداً عَنْ أَقْدامِ العابرينَ العُمْيانِ؛
أولَئِكَ الأَرْبَعَةِ:
رَئيسِ البَلَدِيَّةِ، والفَقيهِ، والشُّرْطِيِّ، والزَّمَنِ!

لأَنَّني غَريبٌ كَصالِحٍ في مَدْيَنَ،
فَإِنَّني لَمْ أُفَكِّرْ في بِناءِ قَرْيَةٍ وضَريحٍ.
بَلْ فَضَّلْتُ أَنْ أَنْزَحَ بَعيداً.
في الميناءِ،
اسْتَقْبَلْتُ الأَمْواتَ الوافِدينَ مِنَ الجَزيرَةِ.
لَمْ أَسْمَحْ لَهُمْ بِالرُّكوعِ لي،
فَأَنا لَسْتُ حَيّاً. أَنا مَيِّتٌ مِثْلَهُمْ،

لَكِنَّهُمْ كانوا عُمْياناً فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ رُؤْيَةُ المَوْتِ؛
مَوْتي الذي لا يُفارِقُني،
كَما لَوْ كانَ عُكّازَةً صُنِعَتْ مِنْ عَظْمي.
في الميناءِ عانَقْتُهُمْ واحِداً واحِداً،
ونَفَضْتُ الغُبارَ العالِقَ بِصَمْتِهِمْ،
ثُمَّ تَرَكْنا الميناءَ وأَنَخْنا بِالأَدْغالِ..

العين الثالثة

لا بدَّ مِنْ وُجودِ عَيْنٍ ثالِثَةٍ،
فالعُمْيانُ لا يَرَوْنَ جَيِّداً، والمُبْصِرونَ لا يَرَوْنَ أَبَداً!

النُّسورُ تَرى.
الهَواءُ لَيْسَ دائِماً مِرْآةً.
العَيْنُ عُضْوٌ مَغْروسٌ في العَقْلِ الباطِنِ.
لَنْ أَكونَ عَدُوّاً لِمَنْ يُحِبّونَ الإِقامَةَ في الرِّياحِ،
أَعْرِفُ أَنَّهُ لا جَناحَ لي،
غَيْرَ أَنَّني أَرْسُمُ الخَرائِطَ لأَعْرِفَ الجِهاتِ؛
هُنا يَسْكُنُ الأَيِّلُ،
هُناكَ يَسْكُنُ الضَّبُعُ وابْنُ آوى،
هُنالِكَ القَطيعُ يَرْعى وَسَطَ نُجومٍ صَديقَةٍ،

والرّاعي مُنْشَغِلٌ بِالرَّبابَةِ والنّايِ،
والتَّلْويحِ المُتواصِلِ لِقَوْسِ قُزَحٍ،
حَتّى إِذا شَبِعَ القَطيعُ مِنْ أَكْلِ النُّجومِ،
نَزَلَ الرّاعي إِلى الأَرْضِ،
غَيْرَ مُصْغٍ إِلى تَوَسُّلاتِ الرّيحِ للإقامَةِ فيها،
نَزَلَ الرّاعي إِلى الأَرْضِ،
تارِكاً بَيْنَ النُّجومِ العالِيَةِ،
ثُغاءَ نِعاجِهِ ونُباحَ كَلْبَتِهِ وبُكاءَ نايِهِ..

أَنا أُحِبُّ المَنْطِقَ، أُحِبُّهُ كَثيراً،
أُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنَ الفَراوْلَةِ وهِيَ تَذوبُ في فَمِ طِفْلَةٍ جائِعَةٍ،
لِذَلِكَ لَنْ أَكونَ راعِياً،
فالنُّجومُ بَعيدَةٌ ولا أَمانَ للذِّئابِ،
سَأُضيفُ إِلى جَسَدي عَيْناً ثالِثَةً،

وأَظَلُّ في الأَرْضِ أُراقِبُ النُّسورَ التي تمَوتُ،
ثُمَّ تَسْقُطُ في الحُفَرِ العَميقَةِ،
مِثْلَ أَفْكارٍ كلاسيكِيَّةٍ،
فأَنا مُدْرِكٌ كُلَّ الإِدْراكِ،
أَنَّ لا شَيْءَ يَعيشُ في السَّماءِ إِلاّ اثْنانِ:
النُّسورُ الحَيَّةُ.. وخَيالُ الشّاعِرِ!

أنا جزء من الأدغال

لا يوجَدُ فاصِلٌ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ والرُّؤْيا.
كُلُّ حُلْمٍ هُوَ طَريدَةٌ لِلْعَيْنِ.
العَيْنُ لا تَنامُ، والجَفْنُ يَنامُ.
التِّنانينُ لا تَعْرِفُ النَّوْمَ،
لِذَلِكَ فَالأَساطيرُ الصّينِيَّةُ لَمْ تَتَعَرَّضْ لِلْغَزْوِ،
مِثْلَما يَحْدُثُ للأَسْوارِ والقِلاعِ في الأَفْلامِ التّاريخِيَّةِ،
مِثْلَما يَحْدُثُ لِمَخادِعِ الحَريمِ وكُنوزِ الوَصيفاتِ،
مِثْلَما يَحْدُثُ للزّائِلِ والآيِلِ للانْكِسارِ.
التِّنينُ لَنْ يَكونَ أَنا.
أَنا لا أَمْلِكُ خَريطةً لأَصِلَ إِلى الأُسْطورَةِ.
مُنْذُ ماتَ جَدّي لَمْ أَبْرَحِ القَرْيَةِ.
لَمْ أَرَ إِلاّ الميناءَ والأَمْواتَ القادِمينَ مِنَ الجَزيرَةِ.

أَنا جُزْءٌ مِنَ الأَدْغالِ،
أَسْتَحِمُّ في السَّماءِ،
أَغْسِلُ ثِيابي في فَمِ الشَّمْسِ،
أَنامُ فَوْقَ الأَشْواكِ والرِّمالِ وعِظامِ مَوْتى سَيُبْعَثونَ يَوْماً.
لَمْ أَسْمَحْ لأَصْدِقائي بِالرُّكوعِ لي.
أَنا أَعْمى مِثْلَ وَطْواطٍ بائِسٍ في مَغارَةٍ.
لا أَمْلِكُ حِذاءً لأَدوسَ الصَّراصيرَ؛
الصَّراصيرَ التي تَتَجَوَّلُ وَقْتَما تَشاءُ في خَيالي.
لا توجَدُ مُبيداتٌ لِمَسْحِ الخَوْفِ.
أَنا غُصْنٌ آيِلٌ لِلسُّقوطِ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ؛
شَجَرَةِ الخَوْفِ، أُمّي!

أَرى جَيِّداً حينَ تكونُ عَيْنايَ مُغْمَضَتَيْنِ.

فَتْحُ العَيْنِ يَسْمَحُ لِغُبارِ الآخَرينَ بِإِفْسادِ الرُّؤْيَةِ.

الأَعْمى يَرى الباطِنَ.

المُبْصِرُ تَسْقُطُ عَيْناهُ في الزِّحامِ فلا يَرى الباطِنَ.

مُنْذُ وُلِدْتُ وأَنا أُفكِّرُ جِدِّيّاً، في رُؤْيَةِ الجَزيرَةِ؛

الجَزيرَةِ التي توجَدُ داخِلي.

ولأَنَّني اكْتَشَفْتُ أَنَّ البَصَرَ آلَةٌ قَديمَةٌ جِدّاً،

فَقَدِ ابْتَكَرْتُ آلَةَ تَصْويرٍ سورْيالِيَّةً،

أُطْفِئُ السُّرُجَ وأَسْمَحُ بِتَشْغيلِ الشَّريطِ السّينِمائِيِّ

الإِنارَةُ خَفيفَةٌ والصَّوْتُ بِالكادِ يُسْمَعُ،

وفي الخَلْفِيَةِ ما يَسُرُّ النّاظِرينَ،

فَأَرى باطِني يَفيضُ كالسَّيْلِ،

وأَرى لُعَبي الوَرَقِيَّةَ تَتَغَزَّلُ بِها الخَطاطيفُ،

وأَرى يَدي تُغْرَسُ في أَرْضٍ سَتَصْلُحُ يَوْماً للحُبِّ،

وأَرى الذِّكْرَياتِ تورِقُ كَزَهْرَةِ اللَّيْمونِ،

وأَرى عُصْفورَيْنِ، ذَكَراً وأُنْثى، يَتَعاتَبانِ،
وأَرى الخَطاطيفَ تَدْنو مِنّي فَأَبْتَسِمُ لَها،
وأَرى أَحْلامي تَترَجَّلُ كَأَبٍ عادَ مِنَ السَّفَرِ.

يَجِبُ تَصْحيحُ الرُّؤيَةِ عاجِلاً:
لا بُدَّ مِنْ وُجودِ عَيْنٍ ثالِثَةٍ،
فالعُمْيانُ لا يَرَوْنَ جَيِّداً، والمُبْصِرونَ لا يَرَوْنَ أَبَداً!

طُوبى لَهُمْ.
طوبى لَهُمْ جَميعاً.
طوبى لَهُمْ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ.
طُوبى للرّائينَ في سَراديبِ الظَّلامِ.
طُوبى لِمَنْ فَقَدوا عُيونَهُمْ في الحَرْبِ،
فوَهَبَهُمُ اللهُ الشَّمْسَ!

مغارة ضيقة

المَغارَةُ ضَيِّقَةٌ والواقِعُ أَكْثَرُ ضيقاً.

أَصْدِقائي الأَمْواتُ حَمَلوا تِذْكاراتٍ مِنَ الجَزيرَةِ.

مِشْطاً لِفَتاةٍ كانَتْ عَشيقَةً لِبَحّارٍ لَمْ يولَدْ بَعْدُ.

بَوْصَلَةً مُحَطَّمَةً.

دُمىً لأَبْناءِ البَحّارَةِ الذينَ ماتوا غَرَقاً في الهَواءِ.

رائِحَةَ المَوْجِ وسيرَةَ الحوتِ الأَزْرَقِ.

أَصْدِقائي الأَمْواتُ وَهَبوني التِّذْكاراتِ،

وشَرَعوا يُوَسِّعونَ المَغارَةَ.

الدَّغْلُ مُمْتَدٌّ لَكِنَّهُ لَيْسَ وَطَني.

لَيْسَ وَطَنَ الأَمْواتِ. هُوَ وَطَنُ الجَميعِ.

الحَشَراتُ والزَّواحِفُ وقُطْعانُ الجِنِّ والمارَّةُ التّائِهونَ،

والدَّيْلَمُ والأُخْطُبوطُ ووَحيدُ القَرْنِ،

والغُرَباءُ والأَمْواتُ وأَنا.

لِهَذا سَأَبْني قِطْعَةَ وُجودٍ في المَغارَةِ.

لَنْ أَكونَ عَدَماً في مَدْيَنَ. سَأَكونُ وُجوداً بِالمَغارَةِ..

السَّقْفُ مِنْ عِظامٍ،

الجُدْرانُ لَبِناتٌ مِنْ ريشِ أُنْثى النُّسورِ.

كانَ رَصاصٌ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ يَأْتي.

كانَ يُطارِدُ النُّسورَ في مَمْشاها السَّماوِيِّ العالي.

مَنْ يَسْقُطُ يمَوتُ ومَنْ يَنْجو يَقْتَحِمُ المَغارَةَ.

وكانَتْ أُنْثى النُّسورِ الأُمُّ،

تَخْلَعُ ريشَها في حَضْرَةِ الخَوْفِ.

هَلْ كانَ خَوْفُ الأُنْثى مِنَ الرَّصاصِ،

أَمْ مِنْ أَنْيابِ الثَّعالِبِ،

أَمْ مِنَ التَّفْكيرِ الهَمَجِيِّ للغابَةِ،

أَمْ مِنَ الوَطاويطِ والبوماتِ والغِرْبانِ،
أَمْ مِنَ الزَّمَنِ المُخْتَبِئِ خَلْفَ المَتاريسِ الحَجَرِيَّةِ،
أَمْ مِنَ المَتاريسِ الحَجَرِيَّةِ المُخْتَبِئَةِ خَلْفَ الزَّمَنِ،
أَمْ مِنّي أَنا الذي لَمْ أَكُنْ.. وكُنْتُ؟!

خيال الشاعر

النُّسورُ حينَ تمَوتُ تَسْقُطُ في الحُفَرِ،
ولا يُقيمُ في السَّماءِ إلاّ اثْنانِ:
النُّسورُ الحَيَّةُ.. وخَيالُ الشّاعِرِ!

لَمْ يَعُدْ يُؤْذيني أَنَّ الأَحْياءَ بَعيدونَ.
عَوَّدْتُ نَفْسي على صَداقَةِ الأَشْياءِ اللاّمَرْئِيَّةِ:
مُرورُ طَيْفٍ في الحَدْسِ،
وِلادَةُ شَكٍّ فَوْقَ أَعْشابٍ يَقيني،
زَبانِيَةٌ يَكْنِسونَ اللَّيْلَ مِنْ ريشِ النُّسورِ النّافِقَةِ،
ما قَلَّ ودَلَّ مِنْ فَرَحٍ لا سَبيلَ إلى قَمْعِهِ،
ما قَلَّ ودَلَّ مِنْ فَجْرٍ لا سَبيلَ إلى إطْفائِهِ،
ما قَلَّ ودَلَّ مِنْ خُبْزٍ لإِطْعامِ الصَّدى؛

الصَّدى المُجاوِرِ للمَغارَةِ؛
المَغارَةِ المُجاوِرَةِ للأَدْغالِ وثِيابِ الأَمواتِ؛
الأَمْواتِ أَصْدقائي القادِمينَ مِنَ الميناء؛
الميناءِ المُضاءِ بِذِكْرَياتِ الجَزيرَةِ وحَرائِقِ أَشْجارِها؛
الجَزيرَةِ التي أَعْرِفُها جَيِّداً؛
الجَزيرَةِ التي لا أَعْرِفُها أَبَداً!

لَمْ يَعُدْ يُؤْذيني الأَحْياءُ،
حَسْبي أَنَّ الأَمْواتَ والنُّسورَ الحَيَّةَ مَعي؛
هُما الشَّبيهانِ وأَنا ثالِثُهُما.
حَسْبي أَنَّ لا أَحَدَ يُؤْذي أَحَداً هُنا،
لا صَقْرَ يَهْجُمُ على دَوْرِيٍّ،
لا فَخَّ يَتَرَصَّدُ بِطَريدَةٍ مُسالِمَةٍ،
فالصَّحْراءُ للجَميعِ،

والواحاتُ للجَميعِ،
والرِّمالُ لا تُفَرِّقُ بَيْنَ المُقيمِ والغَريبِ:
الرِّمالُ صَديقَةُ مَدْيَنَ،
الرِّمالُ صَديقَةُ آشورَ،
الرِّمالُ صَديقَةُ إِسْبارْطَةَ،
الرِّمالُ صَديقَةُ بَرْشيدَ،
الرِّمالُ صَديقَةُ المَغارَةِ!

مُنْذُ ماتَ الامْبراطورُ والوَرَثَةُ يَتَحارَبونَ،
الكَبيرُ احْتَلَّ شَمالَ المَمْلَكَةِ،
والصَّغيرُ يُرابِطُ بِالواحاتِ الظَّليلَةِ،
والبِنْتُ الوَحيدَةُ تَزَوَّجَتْ بي،
لا أُفَكِّرُ في الميراثِ،
البِنْتُ لا تُفَكِّرُ في الميراثِ،

الأَخَوانِ، الكَبيرُ والصَّغيرُ، ماتا في المَعْرَكَةِ
أَنا، ودونَ تَخْطيطٍ مِنّي، صِرْتُ الامْبراطورَ
البِنْتُ الوَحيدَةُ في بَيْتِ الحَريمِ،
وأَنا أَمامَ بابِ القَصْرِ،
رَأَيْتُ ظِلاً يَتَسَلَّقُ حائِطَ بَيْتِ الحَريمِ،
وفي الصَّباحِ أُخْبِرَ الجَميعُ بِما يلي:
الأَميرَةُ قُتِلَتْ والامْبراطورُ فَرَّ!

أَعيشُ في الأَدْغالِ، صَقْراً
أَفْضَلُ مِنْ أَنْ أَعيشَ في القَصْرِ، جُرْذاً..

لست حيا ولست ميتا

أَنا لَسْتُ حَيّاً. أَنا لَسْتُ مَيِّتاً.

أَنا شَيْءٌ آخَرُ أَقَلُّ تَعْقيداً.

حُزْنُ الصَّفْصافِ وشَهْوَةُ الفاكِهَةِ،

وخُروجُ الأَزْهارِ مِنَ المُعْتَقَلِ.

لَنْ أُومِنَ بِفَلْسَفَةٍ مُراهِقَةٍ،

لا تُصَدِّقُ أَنَّ العَقْلَ لَيْسَ وِعاءً وإِنَّما وَعْيٌ.

لَيْسَ جَرَّةَ عَسَلٍ بِمَعْرِضٍ فِلاحِيٍّ،

وإِنَّما شَغَفُ نَحْلَةٍ ذَكَرٍ،

عِنْدَ رُؤْيَةِ دَمْعَةٍ في عَيْنِ المَلِكَةِ داخِلَ الخَلِيَّةِ.

لَسْتُ حَيّاً لَسْتُ مَيِّتاً.

لَسْتُ مَيِّتاً لَسْتُ حَيّاً.

أَنا المُبْتَدَأُ والخَبَرُ. أَنا المَبْنِيُّ للمَجْهولِ.

أَنا المَمْنوعُ مِنَ الصَّرْفِ والحُبِّ والحَجِّ إِلى الغابَةِ.
أَنا الفاكِهَةُ والزَّهْرَةُ والمَلِكَةُ.
أَنا اللاّسِعُ المَلْسوعُ الشّامُّ المَشْمومُ.
شَيْءٌ ثالِثٌ. اِمْبْراطورُ المَغارَةِ والأَمْواتُ حَوارِيَّ!

لا خَوْفَ عَلَيَّ مِنَ الكَلْبَةِ،
يُمْكِنُني تَأَبُّطُ مِحْفَظَتي والذَّهابُ إِلى المَدْرَسَةِ،
حَتّى إِذا أَمْطَرَتِ السَّماءُ في مُنْتَصَفِ المَسافَةِ،
خَبَّأْتُ الأَدَواتِ المَدْرَسِيَّةَ في قَلْبي،
وطَلَبْتُ المُساعَدَةَ مِنَ اللهِ كَيْ يُرْسِلَ إِلَيَّ شَمْساً،
سَيَكونُ بِوُسْعي اخْتِيارُ واحِدٍ مِنِ اثْنَيْنِ:
تَجْفيفُ ثِيابي المُبَلَّلَةِ،
أَوْ إِحْراقُ الكِلابِ!

أَنْ أَموتُ واقِفاً، مِثْلَ عُقابٍ،
أَفْضَلُ مِنْ أَنْ أَعيشَ راكِعاً، مِثْلَ ضِفْدَعٍ!

أَخيراً أَصْبَحَ بِإِمْكاني أَنْ أَكونَ شَيْئاً،
لَسْتُ عَدَماً مَجّانِيّاً في مَدْيَنَ،
لَسْتُ مِشْجَباً قَديماً لِتَعْليقِ الرِّماحِ بِإِسْبارْطَةَ،
لَسْتُ عابِرَ سَبيلٍ في الأَناضولِ،
لَسْتُ دَيْلَماً تائِهاً في كَليلَةَ ودِمْنَةَ،
لَسْتُ جاسوساً في رِوايَةٍ بوليسِيَّةٍ،
أَنا قِطْعَةُ وُجودٍ في مَغارَةٍ بِالأَدْغالِ!

يموت شبيهي أولد أنا

مُنْذُ صِغَري وأَنا أَعْشَقُ مَذاقَ العَسَلِ،
كَبُرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وأَصْبَحُ العَسَلُ سُمّاً والنَّحْلَةُ عَقْرَباً.
ثَمَّةَ اخْتِلالاتٌ في العَناصِرِ:
العَقْرَبُ يَنْبَغي أَنْ تَتَحَوَّلَ إلى نَحْلَةٍ،
والسُّمُّ يَنْبَغي أَنْ يَتَحَوَّلَ إلى عَسَلٍ،
وأَنا يَنْبَغي أَنْ أَتَحَوَّلَ إلى بَشَرِيٍّ..

مَنْ أَنا إِذَنْ،
ومَنْ يَقودُني مِنَ يَدَيَّ ويَدْفَعُني إلى الوَراءِ؟
لا شَكَّ أَنَّ العَيْشَ في المَغارَةِ حَوَّلَني،
وأَنَّ مُصادَقَةَ الجُرْذانِ والزَّواحِفِ شَلَّتِ الحَواسَّ..
سَأَكونُ ابْناً حَقيقِيّاً لآدَمَ،

سَواءٌ كُنْتُ في سَدومَ أَوْ قَرْطاجَةَ أَوْ بَرْشيدَ،
سَأَكونُ ما أَشاءُ أَنا، ولَيْسَ ما يَشاءُ الآخَرُ..

يَضيقُ العالَمُ الواسِعُ.
تَتَّسِعُ المَغارَةُ الضَّيِّقَةُ لامْرَأَةٍ سَتَصيرُ أُمّي.
يُفاجِئُها المخاضُ.
يَموتُ الشَّبيهُ؛ شَبيهي.
أُولَدُ.. أَنا!

المَغارَةُ تِلْكَ وَطَنٌ،
والفَراغُ قَيْصَرٌ والصَّمْتُ صَوْلَجانٌ،
وأَنا لَنْ أُغادِرَ الأَرْضَ الطَّيِّبَةَ الكَريمَةَ،
والمَرْأَةُ تَئِنُّ هُناكَ، ويَمْتَدُّ وَجَعُها لِيَصِلَ إِليَّ،
وأَنا لَنْ أَقِفَ حَجَرَ عَثْرَةٍ أَمامَها،

وقَريباً تَتَّسِعُ المَغارَةُ نِكايَةً بِالعالَمِ الذي يَضيقُ،
تَتَّسِعُ المَغارَةُ الضَّيِّقَةُ لامْرَأَةٍ سَتَصيرُ أُمّي.
يُفاجِئُها المخاضُ.
يَموتُ الشَّبيهُ؛ شَبيهي. أُولَدُ أَنا!

هل نجوت حقا؟

الجَسَدُ، طَوْرَ تَشَكُّلِهِ الأَوَّلِ، كانَ طيناً.
لَوْ لَمْ يَنْفُخِ اللهُ في الصَّلْصالِ روحاً ما كُنْتُ.

بَيْنَ الطّينِ والصَّلْصالِ دَرَجاتُ التَّشاكُلِ البِدائِيِّ،
كَيْفَ كُنْتُ كَيْفَ صِرْتُ كَيْفَ تَحَوَّلْتُ؟

ثَمَّةَ انْكِساراتٌ في بَدَني،
عَلامَةٌ سيمْيائِيَّةٌ مِنَ الكُسورِ والشُّقوقِ،
وَعْيٌ بِالماهِيَةِ،
وَعْيٌ بِالمَتاهَةِ،
ولَكِنْ مَنِ الذي يمَلِكُ الآخَرَ: أَنا أَمْ جَسَدي؟

هل أَسْتَطيعُ التَّحَكُّمَ فيهِ،
بحَواسَّ مَكْسورَةٍ،
وجِهازِ تَحَكُّمٍ مُنْتَهي الصَّلاحِيَةِ؟

الرّوحُ، خِلافاً لِذَلِكَ، وُجودٌ سَديمِيٌّ،
لَيْسَ لَها فيزْياءٌ ولا جُغْرافْيا،
وإنَّما هِيَ يَنابيعُ مِنْ ضَوْءٍ لا يُرى،
وهِيَ كَذَلِكَ أُفُقٌ يَتَعالى،
ولَيْسَتْ سَقْفاً يَنْحَدِرُ..

أنا الاِثْنانِ مَعاً في كوخٍ بَعيدٍ،
كِسْرَةُ خُبْزٍ في فَمِ المكانِ،
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسي تارَةً،

وتارَةً أُخْرى أَعْصِرُ خَمْراً لِعَزيزِ مِصْرَ.

أَنا الاِثْنانِ دُفْعَةً واحِدَةً،
دونمَا فَصْلٍ تَعَسُّفِيٍّ بَيْنَ الرّوحِ والجَسَدِ.
جَسَدٌ طينِيٌّ،
وروحٌ هَوائِيَّةٌ..

أَنا الاِثْنانِ، روحاً وجَسَداً، أَجِدُني في القَرْيَةِ،
لا أَدْري هل كُنْتُ نائِماً أَمْ غائِباً أَمْ مُعْتَقَلاً..
لا أَحَدَ أَسْأَلُهُ،
لا شَجَرَةَ أَسْتَظِلُّ بِها،
لا غَديرَ أَغْسِلُ فيهِ عَطَشي..
لَكِنَّني اكْتَشَفْتُ بِأَنَّ الآخَرينَ نَجَوْا،

وأَنَّ السَّفينَةَ شَقَّتِ العُبابَ وانْصَرَفَتْ بَعيداً،

وأَنَّ اللهَ أَمَرَ الأَرْضَ فَبَلَعَتْ ماءَها،

وأَنِّي لَمْ أَكُنْ مِنَ النَّاجينَ،

وإِنمَّا غَريقٌ يَحْكي ما حَدَثَ،

أَنا السّارِدُ الغَريقُ،

السّارِدُ المُبَلَّلُ بِأَنْيابِ الطّوفانِ وزَعانِفِ المَوْتِ.

هَلْ أَنا مَيِّتٌ حَقّاً؟

أَمْ أَنَّ الغَرَقَ، في القَصيدَةِ، وَهَبَني حَياةً أُخْرى؟

خَلَعْتُ مَوْتي ومَشَيْتُ،

في الغابَةِ وَقَفْتُ،

تَأَمَّلْتُ الأَغْصانَ واللِّحاءَ وسيقانَ الخَيْزُرانِ،

وانْبَثَقَتِ الأَفْكارُ مِثْلَ نَعاماتٍ،

وامْتَدَّتْ يَدي تُشَكِّلُ خَيالاً..

هَلْ يمُكِنُ أَنْ يَحْدُثَ هذا مُجَدَّداً؟

وإِذا جُنَّتِ الأَشْياءُ وانْفَطَرَ الجُلْمودُ،

وسالَ دَمُ الغَيْمِ يَنابيعَ مِنْ خَوْفٍ،

هَلْ أَكونُ المُطالَبَ الوَحيدَ بِصُنْعِ السَّفينَةِ،

وهَلْ أَكونُ النّاجِيَ الأَخيرَ مِنَ الطّوفانِ؟

الفصل الثالث: الطوفان

ما يشبه الطوفان

ها هُوَ الطّوفانُ آتٍ،
مَطَرٌ يَصْفَعُ خَدّي،
غَسَقٌ أَسْوَدُ يَنْمو،
ونُسورٌ في بَياضاتِ الرُّؤى،
تَفْتَرِسُ الوَعْيَ،
وأَسْرابٌ مِنَ الخَوْفِ تَحُطُّ الآنَ
فَوْقَ اللُّغَةِ المَنْسوجِ مِنْها كَفَنُ الرّيحِ الحَزينَةْ..

إِنيّ أَتْرُكُ خَلْفي امْرَأَةً تَرْقُصُ في مِخْدَعِها،
أَتْرُكُ كُحْلَ العَيْنِ،
مِشْطَ الشَّعْرِ الأَشْقَرِ أَيْضاً،
ثُمَّ أَجْري حافِياً،
قابِضَةً كَفّي على حِبالِ السَّفينَةْ..

صَعَدَ المَوْجُ،
تَدَلَّتْ أَرْجُلٌ مِنْ عَلُ،
باضَ الدّيكُ،
دَقَّ الجَرَسُ الكَوْنِيُّ،
ثُمَّ انْشَطَرَتْ نِصْفَيْنِ هَذي الشَّمْسُ،
لا عاصِمَ إلاّ اللهُ:
فامْسَحْ ما تَجَلّى مِنْ غُبارٍ عالِقٍ بِالقَلْبِ،
وامْسَحْ ما تَبَقّى مِنْ ضَغينَتْهْ،
واحْمِلِ الأَنْفاسَ والرّوحَ،
إلى أَعْلى السَّفينَتْهْ..

أَيُّها الخالِقُ!
ماذا يَحْدُثُ الآنَ؟
جَميعُ الصَّلَواتِ اخْتَلَطَتْ بِالخَوْفِ،
والقَرْيَةُ لا تَحْكُمُ بِالقِسْطاسِ،

والجَنَّةُ ما أَبْعَدَها!
يا رَبِّ.. ماذا يَحْدُثُ الآنَ؟
صِراطٌ مُسْتَقيمٌ وصِراطٌ مُتَهاوٍ،
وأَنا بَيْنَهُما أَرْكَعُ كَالقَوْسِ،
وكُلُّ النّاسِ حَوْلي يَتَساقَوْنَ دَمي البارِدَ،
والأُنْثى التي أَحْبَبْتُها يَوْماً،
رَأَتْ خَيْطَ عَويلٍ حَسِبَتْهُ النَّهْرَ،
ماذا يَحْدُثُ الآنَ؟
أَرى وِشاحاً أَخالُ الوِشاحَ ريحاً،
أَتْبَعُ الرّيحَ يَصُدُّ الوَحْشُ أَسْرابي،
أَرى بَيْنَ السَّماواتِ دَمي:
كَيْفَ يُعيدونَ اغْتِيالي مَرَّتَيْنِ؟
كَيْفَ أَفْنى مَرَّتَيْنْ!

أَيُّها الخالِقُ!
إِلهي!

كَيْفَ أَبْني فِكْرَةً مِنْ قَلَقٍ؟
كَيْفَ أُنَقّيها مِنَ الشَّكِّ؟
ومَنْ يَحْتَطِبُ الضَّوْءَ لَها؟
مَنْ يَسْرِجُ الرّيحَ لَها
كَيْ تَتَعالى في السَّماواتِ؟

إلهي!
هِيَ أَقْسى مِنْ رَصيفِ الحَرْبِ،
أَقْسى مِنْ غُبارِ اللَّيْلِ،
مِنْ حُمْرَةِ يُونْيو،
مِنْ نُباحِ الشَّجَرِ الخائِفِ،
أَقْسى مِنْ ثَلاثينَ سَنَةْ
دونَ ماءٍ دونَ موسيقى،
وأَقْسى مِنْ حَريقٍ ماكِرٍ يَشْرَبُ روحي.
هِيَ أَقْسى مِنْ مَحارٍ فاجِرٍ،
يَرْتَكِبُ اللَّمْسَ لِحَبّاتِ الرِّمالِ العارِيَةْ،

مِنْ خُضْرَةِ الحاسَّةِ،
مِنْ رائِحَةِ اليَأْسِ،
وأَقْسى مِنْ وَداعٍ مُسْرِعٍ مُرْتَجِلٍ غامِضٍ
في غُرْفَةٍ ضَيِّقَةٍ جِدّاً،
وأَقْسى مِنْ صَدىً أَنْدَلُسِيٍّ
يَتَلَوّى أَنْهُراً في صَدْرِ غَرْناطَةَ،
أَقْسى مِنْ بَريدٍ يَحْمِلُ المَوْتَ:
مَنِ الرّاحِلُ؟
وَحْدي ارْتَطَمَتْ بي صَخْرَةٌ،
فانْحَدَرَتْ رِجْلي إلى هاوِيَةٍ،
أَغْمَضْتُ عَيْني فَأَبْصَرْتُ العَدَمْ!

لَمْ يَكُ في الأَرْضِ وُجودٌ،
صَدِئَتْ رَيْحانَةُ المَعْنى،

وخَرَّ الجَبَلُ العالي،
وصارَتْ كُلُّ أَقْماري دَفينَةْ..
أَيُّها الخالِقُ!
شاخَتْ كَرْمَتي،
شاخَ فَمي،
كُلُّ التَّرانيمِ التي أَطْعَمْتُها فاكِهَتي جاعَتْ،
دُموعُ المَطَرِ الأَوَّلِ جَفَّتْ،
كُلُّ أُنْثى غَرَقَتْ في داخِلي،
كُلُّ صَديقٍ صارَ عُرْيـًا أَنْطُلوجِيّـًا،
أَصْفِيائي وحَوارِيَّ جَميعـًا
قَدْ تَعَرَّوْا دُفْعَةً واحِدَةً،
لَمْ تَنْجُ إلاّ كَلِماتي:
يَحْدُثُ الآنَ ما يُشْبِهُ الطّوفانَ،
نوحٌ وَحْدَهُ يَسْحَبُني نَحْوَ السَّفينَةْ

مَنْ سِوايَ الآنَ،

يَرْعى بِعَصا الحاسَّةِ تابوتَ المَدينَةْ؟

الفصل الرابع: التابوت

الإقامة داخل تابوت

في كُلِّ تابوتٍ جَسَدٌ يَتَحَرَّرُ،
في كُلِّ واقِعٍ جَسَدٌ يَخْتَنِقُ.
ولأَنَّ الأَرْضَ أَكْثَرُ ضيقاً مِنْ عَيْنِ إِبْرَةٍ،
فَقَدْ صارَتِ التَّوابيتُ بُيوتاً للشُّعَراءِ!

ها أَنْتَ تَسيرُ.
كَيْفَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُقْنِعَ الأَشْجارَ،
أَنَّكَ لَسْتَ بُسْتانِيّاً أَوْ جَرّافَةً أَوْ سَيْلاً،
ولَسْتَ الحَطّابَ قاطِعَ الأَشْجارِ،
ولا مُقاوِلاً صاحِبَ شَرِكَةِ فَحْمٍ،
وإنّما أَنْتَ مُجَرَّدُ كائِنٍ تائِهٍ،
تُفَتِّشُ عَنْ ثَوْبٍ خَلَعَتْهُ الأَشْجارُ قَبْلَ النَّوْمِ،

وعَنْ فَراشاتٍ تَتْبَعُها إلى النَّبْعِ،
وعَنْ سَماءٍ تَترَجَّلُ على قَدَمَيْها،
وتَمْشي جَنْباً إلى جَنْبٍ مع الغُرَباءِ الذينَ في الأَرْضِ،
وعَنْ سَرابٍ تَتَحايَلُ عَلَيْهِ لِيَصيرَ ماءً،
وتُفَتِّشُ عَنْ إِبْرَةٍ في الهَواءِ،
لِتَخيطَ كَفَناً للأَزْهارِ التي تَموتُ في المُنْحَدَراتِ؟

لا أَحَدَ يَعْلَمُ ما الذي يَدُورُ في خَلَدِكَ.
لا أَحَدَ يَعْلَمُ أَنَّ الحَبيبَةَ لَنْ تَعودَ،
وأَنَّ رَسائِلَ حاسوبِها قَدْ أَكَلَتْها الفيروساتُ،
وأَنَّ الشّاهِدَيْنِ غَرَقا في النِّسْيانِ،
وأَنَّ الأَرْضَ لَمْ تَعُدْ بَيْضَوِيَّةَ الشَّكْلِ،
وإِنَّما صارَتْ شِبْهَ مُنْحَرِفٍ يَتَدَحْرَجُ نَحْوَ الحافَّةِ!

لا يُمْكِنُكَ تَغْييرُ الحَدَثِ حتّى ولَوْ كُنْتَ المُخْرِجَ.
أُسْدِلَ السِّتارُ وهَتَفَ الجُمْهورُ
واشْتَعَلَ ضَوْءُ النَّصِّ في الشَّراييِن الإِلِكْترونِيَّةِ.
القَدَرُ نَفْسُهُ يُراقِبُ الأَحْداثَ دونَ أَنْ يَتَدَخَّلَ فيها.
الرَّجُلُ والمَرْأَةُ يَتَضاجَعانِ،
والأَطْفالُ يولَدونَ مِنْ فوهَةٍ في قاعَةِ العَرْضِ الواسِعَةِ.

مَنْ أَنْتَ؟
الرَّجُلُ الشَّهْوانِيُّ، أَمِ المُخْرِجُ،
أَمِ الطِّفْلُ المَوْلودُ حَديثاً
مِنْ فوهَةٍ مَحْفورَةٍ في سَقْفِ القاعَةِ الكَبيرَةِ؟
أَمْ أَنَّكَ لا أَحَدْ؟!

جريمة في منتصف التفكير

في البَيْتِ،
حَمَلَتْ أمُّكَ السّاطورَ ونَزَلَتْ بِهِ على رَأْسِ أَبيكَ،
وحينَ رَأَيْتَ الدَّمَ رَقْراقاً،
وسَمِعْتَ الأَنينَ دَفّاقاً،
خَرَجْتَ تَتَسَكَّعُ في أَرْضِ اللهِ التي صارَتْ ضَيِّقَةً.
مِنْ أَيْنَ يَأْتي هذا الضِّيقُ؟
مِنَ الأَرْضِ التي بِالكادِ يَسَعُها ثُقْبُ إِبْرَةٍ،
أَمْ مِنْ دِماغِكَ المَشْحونِ بالتَّوَتُّرِ والخَوْفِ؟

وخُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّ أَباكَ هو مَنْ ضَرَبَ أُمَّكَ،
وارْتَبَكَ عَقْلُكَ،
ومِلْتَ إلى فِكْرَةٍ أُخْرى،

وهي أَنَّهُما ضَرَبا وضُرِبا في الوَقْتِ ذاتِهِ،
وأَمْلى عَلَيْكَ الحَدْسُ أَمْراً:
كِلاهُما ضارِبانِ وأَنْتَ المَضْروبُ دونَ سِواكَ،
واطْمَأَنَّ تَفْكيرُكَ إلى هذا الحَدْسِ،
فَتَحَسَّسْتَ أَعْضاءَكَ تُفَتِّشُ عَنِ الأَلَمِ،
وفَتَّشْتَ عَنِ الدَّمِ في قَميصِكَ،
هَلْ مِتُّ؟ تَساءَلْتَ. هَلْ أَنا في الأَبَدِيَّةِ؟
يَوْمُ البَعْثُ والميزانُ والصِّراطُ؟
لا يُمْكِنُني أَنْ أَكونَ مَيِّتاً،
الجُغْرافيا على هَيْئَتِها الأولى،
والتَّضاريسُ لَمْ يَطَلْها تَعْديلٌ،
والخَيالُ لَمْ يَعُدْ قَميصاً بِلا أَزْرارٍ،
والبَدَنُ، بَدَني، كَعَهْدي بِهِ،
والهَواءُ بارِدٌ مِثْلَ سِرْبٍ مَنَ الجُثَثِ

يَخْرُجُ دُفْعَةً واحِدَةً مِنْ ثَلاّجَةِ الأَمْواتِ.

وهَرَبْتَ رُبمَّا يَتْبَعانِكَ ويَرْمِيانِكَ في الجُبِّ،
كما صَنَعَ الأَسْباطُ بِيُوسُفَ قَديماً!

وسَمِعْتَ جَعْجَعَةً وعَويلاً فَوَقَفْتَ.
تَسَمَّرْتَ. تَجَمَّدْتَ. اجْتَمَعَ النّاسُ وتَساءَلوا:
هَلْ ماتَ الرَّجُلُ؟
وجاءَتْ سَيَّارَتانِ،
واحِدَةٌ للإِسْعافِ وثانِيَةٌ لِنَقْلِ الأَمْواتِ،
وأَنْتَ تَنْتَظِرُ ثالِثَةً تَحْمِلُكَ إِلى اللاّمَكانِ.
تَمْشي الآنَ وَحيداً في الأَدْغالِ،
غَيْرَ مُبالٍ بِالأَشْواكِ والحَيّاتِ والمَتاريسِ الرَّمْلِيَّةِ،
والغُدْرانِ المَسْكونَةِ بِالحَشَراتِ والزَّواحِفِ الصَّغيرةِ،

ولا بِقُطّاعِ الطُّرُقِ المُرابِطينَ تَحْتَ أَشْجارِ اللَّوْزِ،

ولا بِالكِلابِ الضّالَّةِ وبَناتِ آوى،

وحينَ جُرِحَتْ قَدَماكَ مَزَّقْتَ قَميصَكَ،

وغَطَّيْتَ الجُرْحَ رَيْثَما تَأْتي السَّيّارَةُ الثّالِثَةُ،

ووَقَفْتَ في العَراءِ تَنْتَظِرُ الذي يَأْتي ولا يَأْتي،

وعَيْناكَ حَبَّتا زَيْتونٍ فَوْقَ شَجَرَةٍ،

وقَلْبُكَ قِدْرُ ماءٍ فَوْقَ نارٍ،

كُنْتَ مِثْلَ فَزّاعَةٍ غَريبَةٍ؛

فَزّاعَةٍ مِنْ قَصَبٍ لا يَخافُها أَحَدٌ!

زمن ينكسر مثل جوز هند

الأَرْضُ لَيْلُها نَهارٌ، الأَرْضُ نَهارُها لَيْلٌ،
والفَزّاعاتُ التي كانَتْ تُخيفَ العَصافيرَ،
صارَتِ العَصافيرُ تُخيفُها!

أَمْرٌ واحِدٌ لا يمُكِنُ تَرْميمُهُ أَبَداً،
وهُوَ الزَّمَنُ الذي يَنْكَسِرُ مِثْلَ جوزِ الهِنْدِ!

بَيْنَ اسْمِ الفاعِلِ واسْمِ المَفْعولِ سِرٌّ فيزْيائِيٌّ عَظيمٌ.
حَرَكَةٌ تَنْطَلِقُ مِنْ عَلُ لِتَتَوَقَّفَ في الأَسْفَلِ.
المُخيفُ عالٍ والخائِفُ مُنْحَدِرٌ.
الذِّرْوَةُ تُجْرَحُ لَكِنَّها لَنْ تَصيرَ هاوِيَةً.
لا أُريدُ أَنْ أَعْلَمَ، هَلْ كُنْتَ الجارِحَ أَمِ المَجْروحَ.

وشاءَ مَنْطِقُ الفيزْياءِ أَنْ يُرْبِكَ سيبَوَيْهَ إِرْباكاً:
صارَ المُخيفُ خائِفاً والخائِفُ مُخيفاً!

وتَوارَتِ المَدينَةُ كَزَبَدٍ خَجولٍ.
باتَتْ نوراً يَتيماً سُرْعانَ ما ابْتَلَعَتْهُ الغابَةُ.
الخَميلَةُ مُتَناسِقَةٌ،
وطُيورُ المَساءِ تُنْجِزُ رَقْصَتَها الغَريبَةَ فَوْقَها.
كُنْتَ مُحْتاجاً أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضى،
إِلى أَنْ تَصيرَ صَديقاً للطُّيورِ التي لا عائِلَةَ لَها،
وصَديقاً للأَوْراقِ الجافَّةِ الضّالَّةِ التي لا مَسارَ لَها،
وصَديقاً لِلَّيْلِ الذي يَتَسَكَّعُ فَوْقَ جُثَّةِ النَّهارِ،
وصَديقاً لِخَشْخَشَةِ الأَعْشابِ وعُواءِ الرِّياحِ..

لَمْ تكُنْ على عِلْمٍ بِأَنَّكَ لا شَيْءَ.
أَنْتَ نُقْطَةُ حِبرٍ في كُرّاسَةٍ تُسَمّى الفَراغَ.

ومَضَيْتَ حتّى بَلَغْتَ الجَبَلَ،
وها أَنْتَ تَتَسَلَّقُ الصُّخورَ بِصَدْرٍ عارٍ وقَدَمَيْنِ جَريحَتَيْنِ،
وتَخَيَّلْتَ أَنَّ جَسَدَكَ المَصْهورَ يَحْمِلُ صَخْرَةً،
وتَساءَلْتَ بِأَسىً: أَمَرَّ سيزيفُ يَوْماً مِنْ هُنا؟
فَوْقَ الصَّخْرَةِ تَنْشُرُ عَقْلَكَ المُبَلَّلَ،
مِثْلَ إِسْفَنْجَةٍ تَسْقُطُ في النَّهْرِ،
تَنْشُرُهُ عارِياً أَمامَ صَبايا القَرْيَةِ،
وتَنْتَظِرُ شَمْساً لِتُجَفِّفَهُ،
هَلْ كُنْتَ مُدْرِكاً أَنَّ شَمْسَ اللَّيْلِ لَنْ تُشْرِقَ أَبَداً!

ضد فخاخ البلاغة

ويَلْزَمُني لأَكْتُبَكَ يا أَنْتَ يا أَيُّها الشَّبيهُ،
يَلْزَمُني التَّمَرُّدُ ضِدَّ فِخاخِ البَلاغَةِ،
يَلْزَمُني أَنْ أَخْتارَ اللاّكَلامَ،
أَنْ أَخْتارَ الدَّرَجَةَ الصِّفْرَ مِنَ البَلاغَةِ،
أَنْ أَجْلِسَ في مَقْهىً شَعْبِيٍّ بالمَدينَةِ العَتيقَةِ،
بِمُحاذاةِ سورِ المَلاّحِ أَوْ مَدافِعِ البُرْتُغالِيّينَ بِالميناءِ،
أَوْ باتِّجاهِ أَعْلى الصّوْمَعَةِ حَيْثُ يَسْتَريحُ لَقْلاقٌ،
أَنْ أَطْلُبَ قَهْوَةً في كوبٍ طينِيٍّ نِكايَةً بِالبِلَّوْرِ،
أَشُمَّ دُخانَ السَّجائِرِ وأُتابِعُ مُباراةَ رِيال مَدْريدْ،
لَقَدِ اكْتَفَيْتُ مِنَ البَدانَةِ القَديمَةِ،
ذاتِ الدُّهونِ المُرَكَّزَةِ والكولِسْتيرولِ العالي،
سَأَخْتارُ الدَّرَجَةَ الصِّفْرَ مِنَ البَلاغَةِ،

أَخونُ اللُّغَةَ قَليلاً لتَحْريرِ جَسَدِها مِنّي،
أَخْتارُ عِباراتٍ عارِيَةً لأَكْتُبَكَ،
وأَخْتارُ صِباغَةً حافِيَةً لأَرْسُمَكَ،
ولْيَذْهَبِ البَيانُ والتَّبْيينُ إِلى الجَحيمِ!

الفِعْلُ طَلْقَةُ رامٍ،
والاسْمُ فَريسَةٌ تَسْقُطُ،
والرَّوابِطُ اللُّغَوِيَّةُ يَجْرِفُها السَّيّاقُ،
فَتَصيرُ حِجارَةً طائِشَةً في أَيْدي الرُّماةِ!

الوصول إلى الغابة

وها أَنْتَ في قِمَّةِ الجَبَلِ،
تَحْمِلُ قِطَعاً مِنَ الثَّلْجِ وتَقْذِفُ بِها عالِياً.
تَبْرُدُ كَفّاكَ الخَائِفَتانِ كَزَوْجٍ يمَامٍ في طَرِيقِ الرَّصاصِ.
تَتَذَكَّرُ السّاطورَ والدَّمَ والنّاسَ والشّارِعَ.
يُصيبُكَ نَوْعٌ مِنَ الصَّحْوِ الخاطِفِ مِثْلَ وَميضِ بَرْقٍ.
تَتْرُكُ القِمَّةَ والثَّلْجَ وتَنْزِلُ كَالقِرْدِ.
تَرى كَهْفاً مُغْلَقاً.
تَتَقَدَّمُ نَحْوَهُ وتَسْحَبُ الحِجارَةَ وتَدْخُلُ.
تَصيرُ جُزْءاً مِنْ سِرْبِ الخَفافيشِ العَمْياءِ.
تَصيرُ عَيْنَيْها وتَقودُها إِلى الخارِجِ.
تَشُنُّ حَرْباً لا هَوادَةَ فيها على اللَّيْلِ.
وحينَ تَسْقُطُ الخَفافيشُ تَعودُ إِلى الكَهْفِ وَحيداً.

تَعْتَذِرُ لِعَقْلِكَ الذي أَفْسَدْتَهُ بِالخَيالِ.

تَنامُ. لا تَنامُ.

لا تَنامُ. تَنامُ.

في الصَّباحِ تَجْمَعُ الثِّمارَ مِنَ الغابَةِ.

تَصْطادُ غَزالاً.

تُشْعِلُ ناراً.

تَرْفَعُ الغَزالَ بَيْنَ عَصَوَيْنِ يَرْبِطُ بَيْنَهُما حَبْلٌ.

وحينَ يَنْضُجُ اللَّحْمُ الغابَوِيُّ تَأْكُلُهُ.

ها أَنْتَ تَأْكُلُهُ. هَلْ تَأْكُلُ أَخاكَ؟

هَلْ تَأْكُلُ تَوْأَمَكَ التّائِهَ الغَريبَ؟

أَلا تَخْشى عِتابَ أُمِّكَ الغابَةِ؟

وكَيْفَ سَتُواجِهُ غَضَبَ الغُدْرانِ والأَغْصانِ، إِخْوَتِكَ؟!

ها أَنْتَ تمْشي في العَراءِ الفاضِحِ.
يَسْتَقْبِلُكَ البَحْرُ بمَوْجِهِ وريحِهِ وطُحْلُبِهِ.
مِنْ بَعيدٍ تَتَراءى لَكَ سَفينَةٌ.
تَجْلِسُ القُرْفُصاءَ وتَرْسُمُ فَوْقَ الرِّمالِ ساطوراً.
تَمْسَحُهُ وتَرْسُمُ وَجْهَ أُمِّكَ.
تَمْسَحُهُ وتَرْسُمُ عَقْلاً. تَمْسَحُهُ وتَرْسُمُ الغابَةَ.
وحينَ تَأْتي المَوْجَةُ تَمْسَحُ كُلَّ شَيْء.
وتَتْرُكُ الرِّمالَ مَغْسولَةً مِنَ الخَيالِ.
وأَخيراً تَأْتي مَوْجَةٌ أُخْرى فَتَمْسَحُ الأُولى..

سفينة نبي.. أم سفينة قرصان؟

ها هِيَ السَّفينَةُ تَقْتَرِبُ.
يَنْزِلُ ثَلاثَةٌ يَرْبِطونَ مُقَدِّمَتَها بِصَخْرَةٍ في الشّاطِئِ،
بِواسِطَةِ حِبالٍ مَتينَةٍ،
ثُمَّ يَتْبَعُهُمْ رابِعٌ يَحْمِلُ تابوتاً،
يَجْلِسُ الأَرْبَعَةُ مُفْتَرِشينَ صَمْتَ الرِّمالِ،
وبِدونِ تَفْكيرٍ تَصيرُ خَامِسَهُمْ،
وحينَ يُفْتَحُ التّابوتُ،
تَخْرُجُ ريحٌ ويَخْرُجُ صَمْتٌ ولا وُجودَ لِمَيِّتٍ،
أَيْنَ الجُثْمانُ يا عَقْلي؟!

أَنا لَمْ أَكُنْ مَعَكَ.
لا يَجْدُرُ بي أَنْ أَكونَ مَعَكَ.

غَيْرُ مَسْموحٍ لِمَيِّتٍ أَنْ يَكونَ مع حَيٍّ.
حينَ يَبْعَثُني رَبّي ويُرْسِلُني إِلى قَوْمٍ،
لأَقْرَأَ وَصاياىَ التي لَمْ أُنْهِها بَعْدُ.
حينَئِذٍ يمْكِنُني أَنْ أَكونَ مَعَكَ.
لَنْ أُوذِيَكَ أَبَداً.
لا أَمْلِكُ ساطوراً ولا سَيْفاً ولا رَشّاشاً.
الشّاعِرُ لَيسَ عَسْكَرِيّاً ولا جُمْرُكِيّاً ولا سَجّاناً،
الشّاعِرُ لا يمْلِكُ إِلاّ وَصايا غَيْرَ مُكْتَمِلَةٍ فَقَطْ!

وفي البَيْتِ يَكْثُرُ المُعَزّونَ.
وتَسْتَجْوِبُ الشُّرْطَةُ الباعَةَ والكِلابَ والحُرّاسَ.
يُحْمَلُ السّاطورُ بِحَذَرٍ كَيْ لا تَضيعَ البَصَماتُ.
يوضَعُ بِكيسٍ رُقِنَ عَلَيْهِ تاريخُ اليَوْمِ.
يَأْكُلُ النّاسُ ويَشْرَبونَ.

يَرْحَلونَ ويَنامونَ إلى جانبِ زَوْجاتِهِمْ:
هُمْ حَرْثٌ لَهُنَّ وهُنَّ حَرْثٌ لَهُمْ!

ها أَنْتَ في الشّاطِئِ تَنْتَظِرُ السَّيّارَةَ الثّالِثَةَ،
ولَكِنْ لا أَحَدَ كانَ يَظُنُّ أَنَّها سَتَكونُ سَفينَةً..
يَضْحَكُ الأَرْبَعَةُ.
أَسْنانُهُمْ صَفْراءُ وعُيونُهُمْ ضَيِّقَةٌ وأَنْفاسُهُمْ حَشْرَجَةٌ.
يَرْقُصونَ مِثْلَ أَمْواجٍ آيِلَةٍ للسُّقوطِ،
أَصابَها قُرْصانٌ بِأَرْبَعِ رَصاصاتٍ طائِشَةٍ.
يَجْلِسونَ، يَقومونَ، يُقَهْقِهونَ،
وبِدونِ اتِّفاقٍ، يَرْفَعونَكَ بِأَيْديهِمْ إلى أَعْلى ويَرْقُصونَ،
ثُمَّ يَضَعونَكَ داخِلَ التّابوتِ،
وتَسْتَنْجِدُ: لَسْتُ قُرْصاناً! أَنا صَديقُ الغابَةِ!
لَكِنَّهُمْ يُقَهْقِهونَ مِنْ جَديدٍ، ويَرْقُصونَ ثانِيَةً،

ثُمَّ يُغْلِقونَ التّابوتَ بِإحْكامٍ ويَحْمِلونَهُ فَوْقَ السَّفينَةِ،
ويَمْضونَ بَعيداً وَسَطَ اليَمِّ المُتَلاطِمِ،
يَمْضونَ بكَ كما لَوْ كُنْتَ الغَنيمَةَ،
كما لَوْ كُنْتَ مومْياءً في طَوْرِ التَّحْنيطِ،
ويَغْمُرُكَ التَّفْكيرُ،
لا يَغْمُرُكَ التَّفْكيرُ..

لا أحد في السفينة

التَّفْكيرُ يَنْطَفِئُ.
جُثَثُ الشُّموعِ تُرْمى في القُمامَةِ.
اللاّتَفْكيرُ هُوَ الضَّوْءُ الوَحيدُ
الذي يَهَبَهُ اللهُ جَناحَيْنِ بَهيجَيْنِ لِيُقيمَ بِجِوارِ القَمَرِ.
هُناكَ فَقَطْ،
يَسْتَطيعُ اللاّتَفْكيرُ أَنْ يُصَيِّرَ البَشَرِيّينَ إِلى تمَاثيلَ.
ها أَنْتَ تَبْلُغُ الآنَ الدَّرَجَاتِ القُصْوى من العَدَمِ.
مُحَنَّطٌ في صُنْدوقٍ يُسَمّى الواقِعَ.
مومْياءٌ أَنْتَ، يا أَنا!

في ظَلامِ التّابوتِ يَخْتَلِطُ الواقِعُ بِالخَيالِ،
تَمُدُّ رِجْلَيْكَ بِصُعوبَةٍ كَما لَوْ كانا لِرَجُلٍ آخَرَ،

تُوَسِّعُ المَسافَةَ في هذا المكانِ الخَشَبِيِّ الضَّيِّقِ،
فَتَلْمَسانِ الأَشْجارَ،
تَحُكُّ عَيْنَيْكَ لِتَسْتَطيعَ أَنْ تَعْرِفَ أَيْنَ أَنْتَ بِالضَّبْطِ،
تَمُدُّ ذِراعَيْكَ وتُحَدِّقُ في البَعيدِ،
يَتَراءى لَكَ الفَنارُ بِضَوْئِهِ المُتَقَطِّعِ.
هَلْ أَنْتَ في الميناءِ؟
أَمْ في مِنْطَقَةٍ خارِجَ المكانِ؟
تَقومُ فَيَصْطَدِمُ رَأْسُكَ بِالتّابوتِ،
فَتُعالِجُ القُفْلَ فَتَفْشَلُ،
تُعيدُ الكَرَّةَ فَتَنْجَحُ.
وها أَنْتَ تَفْتَحُ الغِطاءَ حَذِراً،
يَصْعَقُكَ أَوَّلُ النّورِ الذي يَتَعَرّى كَبَرْقٍ مَجْروحٍ،
تُغْمِضُ عَيْنَيْكَ لَحَظاتٍ قَصيرةً،
تَفْتَحُهُما مِنْ جَديدٍ رُوَيْداً رُوَيْداً،

تَرى السَّفينَةَ تَمْخُرُ العُبابَ،

تَتَقَدَّمُ نَحْوَ قَمْرَةِ القِيادَةِ،

تَتَلَصَّصُ بِعَيْنَيْنِ مُتَوَجِّسَتَيْنِ كَثَعْلَبٍ يافِعٍ،

أَوْ مِثْلَ سارِقِ مُجَوْهَراتٍ غَيْرِ مُحْتَرِفٍ،

فَتَرَى الفَراغَ الشّاسِعَ..

لا أَحَدَ في السَّفينَةِ..

في أراضي اللاوعي

تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ الرُّبّانَ،
لأَحْمِلَكَ إلى مَكانٍ لَمْ تَطَأْهُ قَدَمٌ يَوْماً.
ماتَ أَحَدُهُما: أَحَدُ أَبَوَيْكِ،
لا يَهُمُّ مَنِ القاتِلُ ومَنِ القَتيلُ،
لَكِنْ هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّكَ لَسْتَ قَتيلاً،
وأَنَّكَ لَسْتَ قاتِلاً مَأْجوراً تَسْتَتِرُ خَلْفَ اللَّيْلِ والبَحْرِ؟
سَأَعودُ يَوْماً حينَ يَبْعَثُني رَبيّ،
سَأَتَوَقَّفُ عَنْ قِراءَةِ الوَصايا على مَسامِعِ قَوْمي،
أَتَوَقَّفُ مُؤَقَّتاً لأَشْتَغِلَ مُحَقِّقاً في الجَريمَةِ..
سَأَعودُ لا رَيْبَ،
هِيَ ساعاتٌ أَوْ أَيّامٌ أَوْ شُهورٌ أَوْ أَعْوامٌ،
رُبَّما أَتَأَخَّرُ قَليلاً،

لَكِنَّني سَأَعودُ لا مَحالَةَ،
ولَكِنَّني لِحَدِّ السّاعَةِ ما زِلْتُ مَيِّتاً،
مَنْ يَدْري، قَدْ تَكونُ أَنْتَ القاتِلَ الوَحيدَ!

في البَيْتِ نامَ الجَميعُ وانْطَفَأَتِ المَصابيحُ.
وخارِجَ البَيْتِ،
حارِسُ الدَّرْبِ والقِطَطُ وعَمودُ الكَهْرَباءِ ودَوْرِيَّةُ الشُّرْطَةِ.
أَمّا السّاطورُ فَمَرْكونٌ بِرُفٍّ في خِزانَةِ الشُّرْطَةِ القَضائِيَّةِ.
ودَمْعَةُ الجارَةِ التي انْسَكَبَتْ لَيْلَةَ الجَنازَةِ،
تَبَخَّرَتْ بِسَبَبِ الهَواءِ.
وواصَلَ عُمّالُ البَلَدِيَّةِ شَحْنَ العَرَباتِ الضَّخْمَةِ،
بِأَزْبالِ اللَّيْلِ التي تَراكَمَتْ في صَناديقِ القُمامَةِ.
ورِجالُ الصَّحافَةِ حَمَلوا النَّبَأَ وانْقَرَضوا،
كَما لَوْ كانوا فُقاعاتٍ مائِيَّةً يَدوسُها الهَواءُ فَتَموتُ.

وفُتِحَتِ الدَّكاكينُ والمَقاهي والوَرْشاتُ،
وفُتِحَتْ المَخافِرُ وأَوْكارُ الدَّعارَةِ والمَراحيضُ العُمومِيَّةُ،
وعادَتِ الحياةُ تَنْبُضُ بِالحَياةِ..

ها أَنْتَ تُفَتِّشُ جَوانِبَ السَّفينَةِ.
الفَنارُ يَقْتَرِبُ. دَلافينُ تَدْنو وتَبْتَعِدُ.
لا أَحَدَ بِالجوارِ. لا أَحَدَ تمَاماً.
وتَقِفُ السَّفينَةُ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ،
تَصْطَدِمُ بِحِجارَةٍ ضَخْمَةٍ مِثْلَ جَثامينِ دَيْنَصوراتٍ،
وبِعَناكِبَ مَعْدِنِيَّةٍ تَتَحَرَّكُ في عَقْلِكَ،
وبِظِّلالِ مُنْكَسِرَةٍ يَصْنَعُها ارْتِطامُ ضَوْءِ الفَنارِ،
بِالرِّمالِ والصُّخورِ والجَسَدِ الخَشَبِيِّ للسَّفينَةِ،
وتَنْزِلُ أَنْتَ، ها أَنْتَ تَنْزِلُ،
تَلْتَفِتُ يمَيناً وتَلْتَفِتُ يَساراً،

تَتْرُكُ البَحْرَ خَلْفَكَ والسَّفينَةَ والذِّكْرَياتِ المَكْسورَةَ،

تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الأَمامِ،

تَرى شَبَحَيْنِ، تَتَفَرَّسُ فيهِما جَيِّداً،

تَصْرُخُ: أَبي! أُمّي!

وتَتَوَقَّعُ أَنْ يَفْتَحا حُضْنَيْهِما ويُقَبِّلاكَ،

لَكِنْ لا شَيْءَ مِنْ هذا حَدَثَ.

في وَعْيِكَ جُثَّتانِ.

لَمْ يَدُرْ في خَلَدِكَ أَنَّكَ جُثَّةٌ ثالِثَةٌ.

لَمْ يَدُرْ في خَلَدِ أَحَدٍ مِنَ مُتابِعي الجِنايات،

أَنَّني، أَنا السّارِدَ، جُثَّةٌ رابِعَةٌ.

لَمْ يَدُرْ في خَلَدي أَنا أَيْضاً،

أَنَّ القارِئَ الذي هُوَ أَنْتَ،

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ جُثَّةً خامِسَةً!

تَقْتَرِبُ مِنْهُما أَكْثَرَ حَتّى تَنْعَدِمَ المَسافَةُ بَيْنَكُما،

وتُحَدِّقُ في مَلامِحِهِما فَيُخيفانِكَ،

تَشْعُرُ أَنَّ أَنْفاسَهُما مُطَعَّمَةٌ بِريحِ الجَحيمِ،

وأَنَّ اللَّيْلَ قاتِلٌ مَأْجورٌ،

وأَنَّ الجَواسيسَ يَخْتَبِئونَ في الأَمْواجِ،

وأَنَّ العَتَمَةَ كوخٌ لإِخْفاءِ البَنادِقِ المُهَرَّبَةِ،

تَتَراجَعُ قَليلاً،

فَيَسْحَبُ كُلٌّ مِنْهُما مِنْ تَحْتِ ثِيابِهِ ساطوراً،

ويَتَقَدَّمانِ نَحْوَكَ،

العَيْنانِ ثُقْبانِ في العِظامِ والنَّظَراتُ رِماحٌ في الفَراغِ،

وتَسْتَنْجِدُ بِاللهِ والسَّفينَةِ،

والسَّيّارَةِ الثّالِثَةِ التي لَنْ تَأْتِيَ أَبَداً،

وتَهْرُبُ، ولكِنْ إِلى أَيْنَ؟

أفر من عقلي

ها أَنْتَ تَصْطَدِمُ بِاللَّيْلِ والصَّخْرِ.
تَسْقُطُ، تَنْهَضُ، تَتَقَدَّمُ، يَسْحَبُكَ التَّيّارُ،
تَتَخَلَّصُ مِنَ الجَاذِبِيَّةِ،
وأَبَواكَ يَتَقَدَّمانِ، يَدْنُوانِ، يَكادانِ يَصِلانِ،
والضَّوْءُ يَنْعَكِسُ على السّاطورَيْنِ الشَّرِسَيْنِ،
وتَنْحَرِفُ مُراوِغاً، وتَأْتيكَ الفِكْرَةُ:
شُكْراً يا دِماغي على اخْتِراعِ الفِكْرَةِ المُناسِبَةِ!
وتَتْرُكُ الأَرْضَ وراءَكَ ولا تَلْتَفِتُ نَحْوَها،
فالأَرْضُ غَيْرُ صالِحَةٍ لِلْحُبِّ،
وتَصْعَدُ إِلى السَّفينَةِ،
وتَزْحَفُ إِلى خَلْفِها وتَفْتَحُ التّابوتَ،
وتَضَعُ نَفْسَكَ فيهِ،

وتُغْلِقُهُ من فَوْقِكَ بإِحْكامٍ، وتَغْفو،
وتَحْلُمُ أَنْ تَنامَ كَما نامَ أَجْدادُكَ أَهْلُ الكَهْفِ،
وتَتَوَقَّعُ أَنْ يَكْسِرَ السّاطورُ سَقْفَ التّابوتِ،
وأَنْ تُقْتَلَ بِنارٍ صَديقَةٍ،
لَكِنْ لا شَيْءَ مِنْ هذا حَدَثَ،
ويَسودُ صَمْتٌ تُخالِطُهُ طُمَأْنينَةٌ،
ورَغْمَ أَنَّ التّابوتَ كانَ ضَيِّقاً،
فَهُوَ على كُلِّ حالٍ أَكْثَرُ اتِّساعاً مِنْ تابوتِ الواقِعِ!

أَنا لَمْ أُبْعَثْ نَبِيّاً في قَوْمٍ،
لا أَمْلِكُ وَصايا ولا صَحائِفَ،
ولَمْ يَبْعَثْني اللهُ مُحَقِّقاً فيدِراليّاً في الجَريمَةِ المُنَظَّمَةِ،
ولا خِبْرَةَ لي في قِراءَةِ البَصَماتِ وتَحْليلِها،
أَنا مَيِّتٌ. أَنا ابْنُ الغابَةِ. أَنا التّابوتُ!

سَأَنْتَظِرُ هُنا أَوْ هُناكَ،

في مَكانٍ مَوْجودٍ أَوْ غَيْرِ مَوْجودٍ،

قَدْ يَحْدُثُ طوفانٌ آخَرُ،

ساعَتَئِذٍ لَنْ أَنْتَظِرَ نَبِيّاً ولا قُرْصاناً،

وإنمَّا أَصْنَعُ سَفينَتي مِنْ أَشْجارِ الغابَةِ،

وعِنْدَما يَغْرَقُ المَوْتى جَميعاً،

أَكونُ آخِرَ النّاجينَ من الطّوفانِ!

صدر للشاعر

- دم الشّاعر، شعر، منشورات وزارة الثّقافة، 2006
- عصافير الطّفولة، شعر للأطفال، جائزة النّعمان الأدبيّة، لبنان، 2008
- رماد الشّمس، جائزة محمد الوديع الآسفي، 2009
- أمواج في اليابسة، منشورات بيت الشّعر، 2014
- أجراس بعيدة، شعر، منشورات اتّحاد كتّاب المغرب، 2015
- سماء لا تسع السّرب، شعر، منشورات إديسيون بلوس، 2016
- ما لم تقله شهرزاد، قصص للأطفال، منشورات وزارة الثّقافة، 2016
- التّابوت، قصص، منشورات حروف منثورة، مصر، 2018
- لا أوبّخ أحدا، شعر، منشورات مقاربات، 2018
- شموع لا تنطفئ، قصص للفتيان، منشورات مقاربات، 2018
- أعشاب تنمو في القلب، قصص للفتيان، منشورات سليكي أخوين، 2018

- **اللّعب مع الزمن، مجموعة قصصية، جائزة رونق المغرب للقصة، 2018**
- **صياد الليل، رواية، منشورات دار القصبة، 2018**
- **صمت الفزاعة، رواية، منشورات الموجة الثقافية، 2018**
- **قصص للأطفال، سلسلة أولى، منشورات القرويين، 2019**
- **بين الكاف والنون، شعر، 2019**
- **قصص للأطفال، سلسلة ثانية، منشورات القرويين، 2020**
- **آخر الناجين من الطوفان، منشورات مقاربات، 2021**

الفهرس

إضاءة

الفصل الأول: السفينة

سأصل يوما إلى اليابسة

السفينة حملت زوجين

في اليابسة تلك

السفينة

لم أكن أحدا

تدريب الجسد على الحب

الكراهية مهنة بسيطة

التائه ما قبل الأخير

أبني سفينة أخرى

الفصل الثاني: المغارة

في مدين.. أو برشيد

العين الثالثة

أنا جزء من الأدغال

مغارة ضيقة

خيال الشاعر

لست حيا ولست ميتا

يموت شبيهي أولد أنا

هل نجوت حقا؟

الفصل الثالث: الطوفان

ما يشبه الطوفان

الفصل الرابع: التابوت

الإقامة داخل تابوت

جريمة في منتصف التفكير

زمن ينكسر مثل جوز هند

ضد فخاخ البلاغة

الوصول إلى الغابة

سفينة نبي أم سفينة قرصان

لا أحد في السفينة

في أراضي اللاوعي

صدر للشاعر

الفهرس